جامعه القاهرة
كلية دار العلوم
قسم الفلسفة الإسلامية

نظرية الوجود بين الواجب والممكن والمستحيل عند الفلاسفة والمتكلمين حتى القرن الثامن الهجري

دراسة تحليلية نقدية مقارنة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب

خالد حماد حمود العدواني

المعيد في كلية التربية الأساسية
في دولة الكويت

إشـراف

الأستاذ الدكتور : عبد الفتاح الفاوي

1426هـ - 2005م

بسم الله الرحمن الرحيم

[وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا]

[سورة النساء ،
الآية : 113]

شكر وتقدير

عملاً بقول النبي ρ : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " ، فإني أتوجه بالشكر الجزيل والثناء العاطر الجميل إلى أستاذي الفاضل **الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الفاوي** ـ حفظه الله ورعاه ـ والذي أكرمني بقبول الإشراف على رسالتي هذه ، فزادها شرفاً ، ولم يبخل عليَّ بتوجيه أو نصح أو إرشاد ؛ مما كان له الأثر الواضح على هذا البحث ، هذا مع سعة فضله ، ودماثة أخلاقه ، جزاه الله عني خير الجزاء .

كما أبث شكري وتقديري للعالمين الجليلين : **الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أحمد فؤاد والأستاذ الدكتور عبد الحميد عبد المنعم مدكور** ، اللذين تفضلا عليَّ بقبول مناقشة هذا البحث ، وتقويمه ، وهداية صاحبه إلى مواطن الخطأ والتقصير ، لتفاديها . فجزاهما الله خيراً ، وبارك الله في علمهما وعملهم .

كما أتوجه بالشكر والثناء العاطر الخالص إلى أساتذتي في كلية دار العلوم ، الذين أحسنوا وفادتنا إليهم ، ولم يألوا جهدًا في إرشادنا وتوجيهنا لما فيه نفعنا ونفع الأمة الإسلامية .

كما لا يفوتني التوجه بكل التقدير والتعظيم إلى من أنا مدين لهما بكل خير وفضل ونعمة بعد الله Y ، إلى اللذين لم أصل إلى مقامي هذا إلا بفضل عطفهما وتربيتهما وبذلهما ، إلى والديّ الكريمين ، أطال الله عمرهما بكل خير.

ولا يفوتني في هذا المقام أيضاً أن أتقدم بأعظم الشكر والثناء إلى جميع مشايخي الكرام ، سواء من كان منهم في الكويت ، أو في المدينة المنورة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام . وأخص بالذكر منهم : شيخي وأستاذي **الشيخ أحمد قلاش الحلبي الشافعي** ، الذي تعلمت منه الأدب قبل العلم ، ولم يألُ جهداً في تأديبي وتعليمي ، وشيخي الأستاذ العلامة **محمد نمر الخطيب** ، الذي كان من أوائل المجاهدين المسلمين المدافعين عن أرض فلسطين الطاهرة ، والذي درست عليه علم الكلام والمنطق ، فكان له أعظم الأثر في.

وأشكر أيضاً شيخي العالم المدقق **الأستاذ الدكتور مصطفى عمران** ، أستاذ العقيدة والمنطق في جامعة الأزهر والكويت ، الذي كان له الفضل الأكبر في تعليمي وتهذيبي .

فجزاهم الله خيراً ، وأمدهم الله بالصحة والعافية .

وأشكر أيضاً كل من ساعدني في إخراج هذا البحث ، من زملائي وأحبائي الكرام ، وفقهم الله لكل خير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المقدمـــة

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته ، والحمد لله الذي ذل كل شيء لعزته ، والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته . أحمده سبحانه على ما أنعم علينا من سوابغ النعم ، فأوجب علينا شكره على مدار الزمن .

إلهي تم نورك فهديت فلك الحمد ، وعظم حلمك فغفرت فلك الحمد ، وبسطت يدك فأعطيت فلك الحمد . ربنا وجهك أكرم الوجوه ، وجاهك أعظم الجاه ، وعطيتك أفضل العطية وأهناها ، تطاع ربنا فتشكر ، وتعصى ربنا فتغفر ، وتجيب المضطر، وتكشف الضر ، وتشفي السقيم ، وتغفر الذنب ، وتقبل التوبة ، ولا يجزى بآلائك أحد ، ولا يبلغ مدحتك قول قائل .

والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين ، النبي العربي الهاشمي ، سيدنا محمد أفضل الخلق وأزكاهم ، وأنبلهم وأوفاهم ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـد :

فليس ثمة شك في أهمية دراسة الفِكَر الفلسفية الشمولية ، وبيان أثرها في مجالات الفلسفة والكلام المختلفة ، فبها وحدها نستطيع أن نقف على عظم وقوة الفِكْر الإنساني ، الذي من أهم مميزاته انتقاله من المبادىء البسيطة الواضحة إلى نتائج علمية قاطعة ، واستخدامه تلك المبادىء والأحكام البسيطة في معالجة مشكلاته الفلسفية .

ولهذا كان مصطلح الوجود مع وضوحه لكل أحد يعتبر من المصطلحات الفلسفية العميقة الدقيقة ، أعيت مسائله الباحثين عن حقيقته ، فلم يخرجوا من بحثهم به بطائل إلا من تمسك بنور من الشرع قويم .

وبما أن مباحث الوجود كثيرة ومتعددة ، فقد آثرت بحثه من ناحية واحدة من نواحيه ، وهي بحث الوجود ودراسته من حيث وجوبه وإمكانه واستحالته . ولا شك أن فِكَر : واجب الوجود ، وممكن الوجود ، ومستحيل الوجود ، تعتبر من أهم الفكر الفلسفية الكلامية على الإطلاق ، وسوف يتبين لنا من خلال بحثنا هذا أهمية هذه الفكر.

وقد آثرت البحث في هذا الموضوع لأسباب كثيرة ، منها :

1 ـ الأهمية البالغة للموضوع ؛ وذلك لأن فكر الوجوب والإمكان والاستحالة من حيث تعلقها بالوجود من الأفكار الفلسفية القديمة ، التي طالما شغلت أفكار الباحثين في العلم الإلهي ، بل إن من ينظر إلى مبحث الإلهيات عند الفلاسفة يجده مبنيا على فكرتي الوجوب والإمكان ، فإثبات وجود الله Y مبنى على برهان مشهور عندهم، استخدمت فيه فكرتا الوجوب والإمكان ، وإثبات

توحيده أيضاً ، بل إنهم جعلوا وجوب وجود الواجب دليلاً على جميع الصفات السلبية والثبوتية التي وصفوا الباري بها .

وقد تأثر المتكلمون بهذه الفكرة ، واستخدموها في معالجتهم المسائل الإلهية ، مما كان له الأثر الواضح على الفكر الكلامي الإسلامي .

2 ـ أن كثيراً من القواعد الكلامية ـ المستخدمة كأدلة في الفكر الإسلامي ـ مأخوذة من فكرة الوجوب والإمكان والاستحالة ، فمثلاً قاعدة "استغناء الواجب عن الغير " هذه القاعدة المهمة التي لها أثر واضح في كثير من المسائل الكلامية ، مأخوذة من حكم من أحكام الوجوب الذاتي ، وهو أن : الوجوب بالذات ينافي الوجوب بالغير .

وأيضاً : قاعدة أن " الواجب يستحيل عليه التركيب " مأخوذة من حكم من أحكام الوجوب الذاتي ، وهو أن : الوجوب بالذات ينافي التركيب ، بل إن حكماً من أحكام الوجوب الذاتي ـ وهو أن : ماهية الواجب إنيته ـ يتفرع عنه مسائل كثيرة ، مثل بساطة الواجب ، وعدم قدرة العقل على إدراكه كنه واجب الوجوب . هذا بالنسبة لفكرة الوجوب فقط .

أما بالنسبة لفكرة الإمكان ، فمن أهم أحكامه أن الإمكان مُحْوِجٌ إلى السبب ، وقد اختلف الفلاسفة والمتكلمون في تعيين السبب ، فقال الفلاسفة : هو الإمكان ، وقال المتقدمون من المتكلمين : هو الحدوث ، ويترتب على هذا الخلاف القول بوجود ممكن قديم كالعالم عند الفلاسفة ، أما المتكلمون فالممكن عندهم لا يكون إلا حادثاً .

وأيضاً : من أحكام الإمكان الذاتي أن الممكن بالإمكان الذاتي لا يكون أحد طرفيه أولى من الآخر ، وهذه الحكم هو مقدمة مهمة من مقدمات دليل من أهم أدلة إثبات وجود الله .

3 ـ أن هذه النظرية ـ رغم أهميتها ـ لم أجد أحداً من المعاصرين أفردها بالتأليف وأصَّلها تأصيلاً علمياً ، وبيّن أثرها العميق والواضح في الفلسفة الإلهية وعلم الكلام .

4 ـ أن في كتابة هذا البحث إضافة علمية جديدة من حيث توضيح هذه النظرية وتأصيلها تأصيلاً علمياً دقيقاً ، مع بيان أثرها على مسائل الإلهيات ، كل ذلك بعبارة علمية تجمع ما تفرق من مسائل هذه النظرية في محل واحد ، مع ملاحظة تطور هذه الفكرة عند الفلاسفة والمتكلمين .

الخطة العامة للبحث :

لا شك أن دراسة موضوع نظرية الوجود بين الواجب والممكن والمستحيل من الدراسات الدقيقة والشائكة ، التي تستدعي من المتصدي لها

المزيد من التنبه والاهتمام ؛ وذلك لعظم وأهمية هذه الدراسة ، وكثرة القواعد والفروع المبتنية عليها .

ولذا فقد حاولت قدر المستطاع أن تكون خطة دراستي هذه جامعة لمسائل وقضايا هذه النظرية ، بحيث تعطي صورة واضحة ومتزنة ومتناسقة عن النظرية التي نحن بصدد دراستها .

وعليه فقد تكوّن بحثي من ثلاثة أبواب :

الباب الأول : مباحث الوجود .. عرض وتأصيل .

الباب الثاني : الوجود بين الواجب والممكن والمستحيل .

الباب الثالث : تطبيقات النظرية في المسائل الفلسفية والكلامية .

أما **الباب الأول** فقد جاء على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تناولت فيه الأحكام الكلية للوجود من خلال أربعة مباحث :

المبحث الأول : الوجود مشترك معنوي .

المبحث الثاني : الوجود مشكك .

المبحث الثالث : الوجود يساوق الشيئية .

المبحث الرابع : لا واسطة بين الوجود والعدم .

أما الفصل الثاني : فقد تناولت فيه أقسام الوجود ، وذلك من خلال خمسة مباحث :

المبحث الأول : الوجود المحمولي والوجود الرابط .

المبحث الثاني : الوجود الذهني والخارجي .

المبحث الثالث : الوجود بين الوحدة والكثرة .

المبحث الرابع : الوجود بين ما بالقوة وما بالفعل .

المبحث الخامس : الوجود بين القدم والحدوث .

أما الفصل الثالث : فقد تناولت فيه الوجود والماهية ، وذلك من خلال ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم الماهية وأقسامها .

المبحث الثاني : التفرقة بين الوجود والماهية بين القبول والرد .

المبحث الثالث : زيادة الوجود على الماهية .

أما **الباب الثاني** فقد جاء على خمسة فصول :

الفصل الأول : تناولت فيه المسائل المشتركة بين الواجب والممكن والمستحيل ، وذلك من خلال أربعة مباحث :

المبحث الأول : بداهة مفاهيم الوجوب والإمكان والاستحالة .

المبحث الثاني : أنها أمور اعتبارية .

المبحث الثالث : نسبة هذه المفاهيم بعضها إلى بعض .

المبحث الرابع : حكم انقلاب أحد هذه المفاهيم الثلاثة إلى الآخر.

الفصل الثاني: تناولت فيه مفهوم واجب الوجود من خلال ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : في مصطلح الواجب .

المبحث الثاني : أقسام واجب الوجود .

المبحث الثالث : خواص واجب الوجود لذاته .

الفصل الثالث : تناولت فيه مفهوم ممكن الوجود من خلال خمسة مباحث :

المبحث الأول : في مصطلح الممكن .

المبحث الثاني : مصطلح الإمكان بين مثبتيه ومنكريه .

المبحث الثالث : أقسام الممكن .

المبحث الرابع : خواص الممكن .

المبحث الخامس: الإمكان والماهية .

الفصل الرابع : وتناولت فيه مفهوم مستحيل الوجود من خلال ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في مصطلح المستحيل .

المبحث الثاني : أقسام المستحيل .

المبحث الثالث : خواص المستحيل لذاته .

الفصل الخامس : وتناولت فيه علاقات الواجب والممكن والمستحيل، وذلك من خلال خمسة مباحث :

المبحث الأول : علاقة الواجب والممكن والمستحيل بالخير والشر.

المبحث الثاني : علاقة الواجب والممكن والمستحيل بالحق والباطل.

المبحث الثالث : علاقة الواجب والممكن والمستحيل بالغنى والفقر.

المبحث الرابع : علاقة الواجب والممكن والمستحيل بالقوة والفعل .

المبحث الخامس: علاقة الواجب والممكن والمستحيل بالقدم والحدوث.

أما الباب الثالث فقد جاء على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : وتناولت فيه أثر النظرية في مباحث الإلهيات ، وذلك من خلال مبحثين :

المبحث الأول : إثبات وجود الله تعالى .

المبحث الثاني: إثبات الصفات الإلهية .

أما الفصل الثاني : فقد تناولت فيه أثر النظرية في مباحث الطبيعيات، وذلك من خلال ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : العالم بين القدم والحدوث .

المبحث الثاني : الجواهر والأجسام .

المبحث الثالث : الأعراض .

أما الفصل الثالث : فقد تناولت فيه أثر النظرية في مباحث الإنسانيات ، وذلك من خلال أربعة مباحث :

المبحث الأول : النبـوة .

المبحث الثاني : النفس .

المبحث الثالث : الأفعال الإنسانية .

المبحث الرابع : إعادة المعدوم .

وأخيراً تأتي **الخاتمة** ، وقد ضمنتها أهم نتائج البحث .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يتقبل عملي هذا ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يحوز الرضا والقبول .

الباب الأول

مباحث الوجود ... عرض وتأصيل

وفيه تمهيد وثلاثة فصول :

الفصل الأول : الأحكام الكلية للوجود .

الفصل الثاني : أقسام الوجود .

الفصل الثالث : الوجود والماهية .

تمهيـد :

يتوجب عليَّ قبل الشروع في مباحث الوجود الدقيقة والهامة ، أن أسلط الضوء على عدة قضايا من المهم معرفتها مقدمًا .

أولاً : الوجود مفهوم بدهي :

من المقرر في علم المنطق أن أي تصور لا يمكن أن يخرج عن حالتين: الأولى : أن يكون هذا التصور بدهيًا ، أي : لا يحتاج إلى توضيح واستدلال، بل هو بذاته مستغن عن الحاجة إلى تعريف أو دليل . والحالة الثانية : أن يكون هذا التصور كسبيًا نظريًا، لابد لفهمه من تعريف جامع مانع، ولابد من إقامة الدلائل على صدق وصحة هذا التعريف [1].

والوجود ـ كما يرى أغلب الفلاسفة ـ مفهوم بدهي ، لا يحتاج تصوره وإدراكه إلى شرح وتوضيح واستدلال [2]، بل جميع المفاهيم العامة الفلسفية هي على هذا النحو ، تصورها مستغن عن تعريفها .

يقول ابن سينا : " إن الموجود والشيء والضروري ، معانيها ترتسم في النفس ارتسامًا أوليًا ، ليس ذلك الارتسام مما يُحتاج إلى أن يُجلب بأشياء أَعْرَفَ منها . فإنه كما أن في باب التصديق مبادئ أولية ، يقع التصديق لذاتها، ويكون التصديق بغيرها بسببها ، وإذا لم يخطر بالبال أو لم يفهم اللفظ الدال عليها ، لم يمكن التوصل إلى معرفة ما يعرف بها ، وإن لم يكن التعريف الذي يحاول إخطارها بالبال أو تفهيم ما يدل به عليها من الألفاظ محاولاً لإفادة علم ليس في الغريزة ، بل منبهاً على تفهيم ما يريده القائل ويذهب إليه . وربما كان ذلك بأشياء هي في نفسها أخفى من المراد تعريفه ، لكنها لعلة ما وعبارة ما صارت أعرف . كذلك في التصورات أشياء هي مبادئ للتصور ، وهي متصورة لذواتها، وإذا أريد أن يدل عليها لم يكن ذلك بالحقيقة تعريفًا لمجهول، بل تنبيهًا وإخطارًا بالبال ، باسم أو علامة ، ربما كانت في نفسها أخفى منه ، لكنها لعلة ما وحال ما تكون أظهر دلالة "[3].

ولعل السبب في كون مفهوم الوجود وغيره من المفاهيم الفلسفية العامة البسيطة غير محتاجة إلى التعريف : هو أن تعريف الشيء عبارة عن تجزئة

---

(1) انظر : تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية لقطب الدين الرازي مع الحواشي الثمانية ، المطبعة الأميرية ببولاق ، 91/1 .

(2) انظر : المباحث المشرقية للفخر الرازي ، مكتبة الأسدي ، طهران 1966 ، 10/1 ، شرح المواقف للجرجاني ، دار الطباعة العامرة ، اسطنبول ، 1311هـ ، 224/1.

(3) إلهيات الشفاء ، تحقيق : الأب قنواتي وسعيد زايد ، القاهرة ، 1960م ، 29/1 .

وتحليل عقلي لمفهوم ذلك الشيء ، وهذا لا يستعمل إلا في المفاهيم المركبة ، أما المفاهيم البسيطة التي تشكل العناصر الأولية لذهن البشر فهي ليست قابلة للتعريف ، فإن هذه المفاهيم : إما أن لا تعرض للذهن أصلاً ولا يكون للذهن أي اطلاع عليها ؛ أو أنها تعرض للذهن عندما تكون بدهية واضحة غير محتاجة إلى بيان [1].

ثانيًا : الوجود من الأمور العامة :

عرَّف عضد الدين الإيجي الأمور العامة بأنها : ما لا يختص بقسم من أقسام الموجود ، التي هي الواجب والجوهر والعرض [2].

بينما قال الجرجاني بأنه قد يراد بالأمور العامة : ما يتناول المفهومات بأسرها : إما على سبيل الإطلاق كالإمكان العام ، أو على سبيل التقابل ، بأن يكون هو مع ما يقابله متناولاً لها جميعًا ، ويتعلق بكل من هذين المتقابلين غرض علمي ، كالوجود والعدم [3].

وظاهر أن الوجود ـ على كلا المفهومين ـ من الأمور العامة ، بل هو أولاها ، فلذلك تراه أول ما يبحث في مباحث الأمور العامة .

ثالثًا : الوجود هو موضوع الفلسفة الإلهية اتفاقًا ، وعلم الكلام عند البعض:

لا خلاف بين الفلاسفة في أن موضوع الفلسفة الإلهية أو علم ما بعد الطبيعة ، هو الموجود بما هو موجود [4]، أي : من حيث هو هو غير مقيد بشيء [5].

قال أبو البركات البغدادي : " وقد يكون النظر في الموجود نظراً عامًا، ولا أعم من النظر فيه من حيث هو موجود ، فالنظر في الموجود من حيث هو موجود أفرده أرسطوطاليس علما . وقد كان العلماء القدماء قسموا العلوم الوجودية قسمة وافقهم عليها إلى الطبيعيات والرياضيات والإلهيات ، فقال : إن علم الإلهيات من علم الموجود بما هو موجود؛ لأنه علم مبادئ الموجودات،

---

(1) انظر : إيضاح الحكمة في شرح بداية الحكمة ، لعلي رباني كلبيكاني ، ترجمة : محمد شقير ، دار التيار الجديد ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1416هـ - 1996 ، 50/1.

(2) انظر : شرح المواقف للجرجاني 58/2 .

(3) المصدر السابق 62/2 .

(4) انظر : الإبانة عن غرض أرسطوطاليس في كتاب ما بعد الطبيعة ، مطبوع ضمن كتاب : المجموع من مؤلفات الفارابي ، مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الأولى ، 1325هـ ، ص 42 ، إلهيات الشفاء لابن سينا 9/1 ، أرسطو ، للدكتور عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، 1964م ، الطبعة الرابعة ، ص 97 .

(5) انظر : شرح المواقف 47/1 .

فأفرد لذلك علمًا ، وقال فيه : إنه علم ما بعد الطبيعة ، وإنه الفلسفة الأولى، وإنه العلم الإلهي " [1]. أما عند المتكلمين فإنهم اختلفوا في موضوع علم الكلام على ثلاثة اتجاهات :

الأول : أن موضوع علم الكلام هو المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية تعلقاً قريبًا أو بعيدًا ؛ وذلك لأن مسائل علم الكلام : إما أن تكون مسائل اعتقادية دينية ، وذلك كإثبات القدم والوحدة للصانع ، وإثبات الحدوث وصحة الإعادة للأجسام ؛ وإما أن تكون قضايا تتوقف عليها تلك المسائل الاعتقادية ، وذلك كتركب الأجسام من الجواهر الفردة ، وجواز الخلاء ، وكانتفاء الحال وعدم تمايز المعدومات . والشامل لموضوعات هذه المسائل هو المعلوم المتناول للموجود والمعدوم والحال [2]، وهذا الاتجاه هو المشهور عند متأخري المتكلمين [3].

الثاني : أن موضوعه ذات الله تعالى من حيث ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حقه ، ويدخل في ذلك باب النبوات والسمعيات ؛ وذلك لأنه يبحث عن صفات الله تعالى الثبوتية والسلبية ، وأفعاله المتعلقة بأمر الدنيا ككيفية صدور العالم عنه بالاختيار وحدوث العالم وخلق الأعمال وكيفية نظام العالم كالبحث عن النبوات وما يتبعها ، أو بأمر الآخرة كبحث المعاد وسائر السمعيات [4].

وهذا الاتجاه منسوب إلى السلف ψ[5]، واختاره من المتكلمين القاضي الأرموي[6]، وشمس الدين السمرقندي[1] إلا أنه زاد فجعل الموضوع ذات الله

---

(1) المعتبر في الحكمة لأبي البركات البغدادي ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، الطبعة الأولى ، 1357هـ ، 3/3 .

(2) انظر : شرح المواقف 262/1 .

(3) انظر : المصدر السابق ، شرح المقاصد للتفتازاني ، مطبعة الحاج محرم أفندي ، اسطنبول ، 1305هـ ، 7/1 .

(4) انظر : شرح المقاصد 12/1 .

(5) انظر : محاضرات في التوحيد للدكتور : محي الدين الصافي ، بدون بيانات طبع ، ص6 .

(6) هو: محمود بن أبي بكر بن أحمد، أبو الثناء ، سراج الدين الأرموي، توفى سنة682هـ، فقيه شافعي ، عالم بالأصول والمنطق ، له عدة مؤلفات ، من أشهرها : مطالع الأنوار في المنطق ولباب الأربعين .

انظر : الأعلام للزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 166/7 ، طبقات الشافعية للسبكي ، دار الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، 155/5.